

مصطلح الاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب

THE TERM DIRECTION IN INTERPRETATION AND THE DIFFERENCE BETWEEN IT AND THE CURRICULUM AND STYLE

الباحث: مراد قمومية St. Mourad KAMOUMIA

جامعة الجزائر 1 University of Algiers1

mouradkamoumia@gmail.com

Accepted:

قبل للنشر: 2018/07/19

Received:

استلم: 2018/02/17

ملخص:

يتجه هذا البحث إلى تحديد مفهوم للاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب، لنقارب به بين وجهات نظر الباحثين، ولتحقيق تفريق اصطلاحي بين هذه المصطلحات الحديثة، مع تبيين التداخلات فيما بينهما لتوضيح نقاط اللبس والتشابه، ووجدنا أن الاتجاهات التفسيرية متعددة بحسب اختيار المفسرين وميولهم للمجالات التي يركزون عليها من حيث الموضوع أو المنهج أو الوسيلة أو المقصد، بينما مناهج التفسير هي أدوات كشف، تتمثل في الطريق المرسومة للكشف عن المعنى القرآني، أما الأسلوب فهو الذي يعكس شخصية المفسر من حيث الشكل أثناء بحثه للمسائل وتصنيفه لها تحريرا وترتيباً وتخريجاً.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه؛ المنهج؛ الأسلوب؛ التفسير.

Abstract:

The aim of this research is to define the concept of direction in interpretation, and to determine the difference between it the curriculum and the style ‘ As well To reach a conceptual difference between these modern terms ‘ With clarification of overlaps between them.

We found that the directions of interpretation are multiple according to the choice of interpreters or their tendencies to one of the fields they focus on in terms of subject, curriculum, means or aim ‘ While the curriculum of interpretation are tools of detection, which is the way to reveal the meaning of the Koran, It is the style that reflects the personality of the interpreter in terms of form as he searches for issues and classifies them in writing, arranging and directing.

Keywords : direction; Method; style; interpretation.



مقدمة:

يتعدد استعمال المصطلحات الحديثة في حقل علم التفسير مثل (الاتجاه ، المنهج ، الأسلوب) ولم تأخذ في كثير من الأحيان مفهومها الواضح المتفق عليه، إذ نجد الاختلاف بين الدارسين يتوسع ويضيق حسب فهم كل واحد منهم لهذه المصطلحات، وحسب اجتهاداته في الاستعمال، وإننا نحاول هنا تلمس مفهوم لها نقارب اتفاق الباحثين عليه، من أجل تحقيق تمايز اصطلاحي بين هذه المصطلحات الحديثة، وسنعمل على نحاول تحديد مفهوم كل من الاتجاه والمنهج والأسلوب ، مع تبيين التداخلات بينهما لتوضيح مكنى اللبس والتشابك، وموضوع هذا البحث أصالة تحديد مفهوم تُمَايز للاتجاه، ثم بعد ذلك إزالة الالتباس بينه وبين مصطلحي المنهج والأسلوب.

1- مفهوم الاتجاه في التفسير:

أ- الاتجاه لغة: يتلخص معنى اتجه في المعاجم بأنه: كل ما وُلَّى المرء تلقاءه وجهه، أو سار صوبه بقصد، سواء كان التوجه ماديا أو معنويا.

(اتَّجَهَ من لفظ الوجه)⁽¹⁾، وَوَجَّهَ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَقْبِلَهُ... وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [سورة الروم: 30]، أي: اتَّبِعِ الدِّينَ الْقَيِّمَ... والجمع أَوْجُهُ وُجُوهٌ، ويقال هذا وَجْهَ الرَّأْيِ أي هو الرَّأْيُ نَفْسُهُ... وَاتَّجَهَ له رَأْيٌ أي سَنَحَ. وَتَجَهَّأَ إِلَيْكَ أُنْجَهُ أي تَوَجَّهْتُ... قَعَدْتُ لِنَجَاهِكَ وَتَجَاهَلَكَ أي تَلَقَّاهُ، وَتَجَهَّأَ إِلَيْكَ أُنْجَهُ أي تَوَجَّهْتُ⁽²⁾. فالإتجاه إذن ما يُسار صوبه أو تلقاءه بغرض تحقيق هدف يُقصد، وقد يكون الإتجاه إليه ماديا، كما قد يكون معنويا، وهذا الأخير هو الذي يلتقي مع الإطلاق الاصطلاحي كما سيأتي.

ب- مفهوم الاتجاه اصطلاحاً: الاتجاه في مفهومه العام هو (استعداد عقلي وعصبي تنظم أثناء الخبرة، وتؤثر تأثيرا مباشرا أو ديناميا على استجابات الفرد لكل الأشياء والمواقف التي ترتبط بها)⁽³⁾. فالإتجاه يتكون من خلال التفاعل مع البيئة الاجتماعية، ويرتبط عادة بما يحب الإنسان أو بما يكره، وتتكون الاتجاهات من خلال الاتصال المباشر بالموضوع الخاص بالاتجاه، أو بالخبرة، أو بالواقع⁽⁴⁾.

(1) لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، مادة (تجه).

(2) انظر المرجع نفسه ، مادة (وجه). / وانظر أيضا: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (الوجه).

(3) أصول علم النفس العام في ضوء الإسلام، عامر أحمد محمد ، ص 197.

وهذا المفهوم النفسي يمكن أن يساعدنا على تحديد مفهوم الاتجاه في التفسير، فهو يتضمن الإشارة إلى ضابط الاستعدادات المسبقة للإنسان، وهو ما يمكن توظيفه في حقل التفسير إذ يصبح تصنيف الاتجاهات مضبوطاً بحسب غلبة سمة ما على أحد التفاسير أو أحد المفسرين، تكون تلك السمة مرتبطة بميول واستعدادات انعكست في عمل المفسر.

ج- مفهوم الاتجاه في التفسير: رغم وجود اتجاهات التفسير منذ القدم جنباً إلى جنب مع نشأة التفسير، وتطورها عبر العصور مع تطوره، إلا أنها لم تُعرّف كمصطلح تصنيفي في حقل علم التفسير سوى في العصر الحديث، ولذلك نجد عدة دراسات بحثت في اتجاهات التفسير دون أن تتعرض لتحديد مفهومها⁽²⁾، وأما المحاولات التي تمت في هذا الإطار تأتي في معظمها شروحات غير مضبوطة يكتنفها التكرار أو التداخل، أو الغموض في أحيان كثيرة.

ومن تعريفات الباحثين لمفهوم الاتجاه في التفسير ما يلي:

التعريف الأول: الاتجاه في التفسير هو (الميزات والخصائص الفكرية التي تميزت بها بعض تفاسير القرآن بعضها من بعضها الآخر تبعاً لما يحمله المفسر من نزعات وميول مسبقة تترك آثارها في تفسيره وتوجهه بشكل لا موضوعي أحياناً من حيث لا يشعر).

ويضيف شارحاً هذا المفهوم: (هو مجموعة الأفكار المسبقة التي يحملها المفسر بشأن الكتاب العزيز التي تكون في معظم الأحيان ذات طابع مذهبي، بمعنى أن المفسر يلج غمار التفسير وهو حامل تلك الأفكار ويسقطها على المعاني المقصودة من الآيات الكريمة إسقاطاً قد يفرغها من مرادها الواقعية ويتشعب التفسير من هذه الناحية إلى التفاسير اللغوية، والتاريخية، والفقهية، والكلامية "على اختلاف المذاهب"، العرفانية، والحكومية، والعلمية، وكذا التفاسير الباطنية⁽³⁾).

(1) انظر المصدر نفسه، ص 198، 199.

(2) منها مثلاً: اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث: عفت محمد الشرقاوي/ اتجاهات التفسير في العصر الراهن: عبد المجيد عبد السلام المحتسب/ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، وإن كان هذا الأخير قام بمحاولة تحديد مفهوم الاتجاه في كتاب تأصيلي مستقل عنوانه (بحوث في أصول التفسير ومناهجه).

(3) «تطور حركة التفسير في الاتجاهين الموضوعي والموضوعي»، محمد فاكرو المييدي، موقع الضياء للدراسات المعاصرة، محرم 1427هـ/ شباط

2007 م، <http://aldhiah.com/arabic/magazine/maab/02/1/2.pdf>

يوشك هذا التحديد لمفهوم الاتجاه أن يحصره في غلبة الميولات الذاتية للمفسر التي تُخرج التفسير غالباً عن مقاصده الموضوعية، وربما تنحرف بالآية عن معناها الحقيقي، وهو تضيق لواسع، فاستعمالات المصطلح في العديد من الدراسات الحديثة يعم مجالات واسعة ومتنوعة، فيها المحمود وفيها المذموم.

التعريف الثاني: (الاتجاه: هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون)⁽¹⁾.

يختصر هذا التعريف الاتجاه في الهدف، فالهدف قد يكون الكشف عن معاني الآيات في مستواها البسيط، وقد يكون الهدف التعمق في بيانها وبلاغتها للكشف عن إعجازه، وقد يكون بغرض بث الهداية وتحريك السلوك والمعالجة الاجتماعية، وهذه كلها أهداف، والأهداف إذا كانت السمة الغالبة على تفسير ما صنف ضمن اتجاه منبثق من تلك المقاصد والأهداف.

والملاحظة التي نقدمها لهذا التعريف هي اختصار الاتجاهات في الأهداف، بينما الميولات لا تنحصر في أهداف المفسرين فقط، ويمكن أن تكون ميولات أخرى ذاتية أو موضوعية أكثر بروزاً من الأهداف.

التعريف الثالث: (مفهوم الاتجاه يتحدد أساساً بمجموع الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري - كالتفسير مثلاً - بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبية على ما سواها يحكمها إطار نظري، أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير ولونت تفسيره بلونها)⁽²⁾.

أجد هذا التحديد المفاهيمي أقرب إلى روح الاتجاه من غيره، لأنه يحتوي على أهم ملمح وهو ثقافة المفسر التي تؤثر في تفسيره وتلونه بلون خاص يميزه عن غيره.

يمكن أن نستخلص أن الاتجاه في التفسير يتعدد بتعدد التخصصات والمجالات العلمية التي يحتملها القرآن، وتصنيف اتجاهات التفسير مرتبط بالمنهج والأساليب التي يعتمد عليها المفسرون حسب ميولاتهم العلمية أو المذهبية أو المنهجية أو الذاتية، ويُصنّف اتجاه ما وفق تركيز المفسر عليه، أو وفق غلبة ميولات ما على ذلك التفسير، ومن هذا المنطلق تنشأ لدينا مجموعة متنوعة من الاتجاهات:

(1) بحوث في أصول التفسير ومنهجه، فهد بن عبد الرحمن الرومي، ص 55.

(2) اتجاهات التحديد في تفسير القرآن الكريم، محمد إبراهيم شريف، ص 63.

الفقهي، التاريخي، العقدي أو الكلامي، الصوفي أو العرفاني، اللغوي، الباطني، الاجتماعي، النفسي، الهدائي، العلمي، الأدبي، الحركي...

فالاتجاه يمثل فكرة كلية أو إطاراً عاماً ينضبط به سير المفسر، ويعكس لنا بصدق مصدر ثقافته الذي تأثر به وسار على ضوئه في تفسيره، بحيث يكون هذا الفكر العام غالباً على تفسيره، ويكاد أن يُدرَك لأول وهلة، وهذا الاتجاه يتحدد أساساً بمجموعة الآراء والأفكار والمعتقدات والمباحث التي تشيع في عمل المفسر، وتكون غالبية على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية⁽¹⁾.

فإن مال المفسر إلى أحد مجالات أو أحد محاور القرآن الكريم أو المناهج التفسيرية وركز عليه جهده كالعقيدة أو الأخلاق أو الفقه أو الإشارات العلمية أو التاريخ والقصص والسيرة النبوية... تلون تفسيره بهذا الميل، وصُنف في الاتجاه الذي مال إليه، مثاله:

- كتب أحكام القرآن: كأحكام القرآن للجصاص وأبي بكر بن العربي والهراس من المتقدمين وروائع البيان لمحمد علي الصابوني وتفسير آيات الأحكام لمحمد علي السائيس من المتأخرين فهي ذات اتجاه فقهي في التفسير.
- والدراسات العلمية التي تميل إلى الكشف عن الإشارات العلمية المتوافقة مع ما اكتشفه العلم الحديث: كالجواهر في تفسير القرآن، ومعجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن لنبيه عبد الرحمن عثمان، فهما ذو اتجاه علمي في التفسير.
- وإن مال المفسر إلى تحقيق غرض من أغراض القرآن أو مقصد من مقاصده كالهداية والإصلاح والتربية والاجتماع والإعجاز.. تلون تفسيره بذلك الميل وأمكن تصنيفه كاتجاه هدايي أو اتجاه تربوي أو اتجاه اجتماعي. ومثاله: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا فهو ذو اتجاه إصلاح اجتماعي، وفي ظلال القرآن لسيد قطب فهو ذو اتجاه حركي هدايي.
- ويمكن النظر إلى بعض التفاسير من زوايا مختلفة فتصنف في اتجاهات متعددة حسب الزاوية التي ينظر إليها منها، فمثلاً كتب أحكام القرآن إذا نُظر إليها من زاوية المجال المتناول بالبحث فهي ذات اتجاه فقهي، وإذا نُظر إليها من زاوية المنهج المستعمل فهي ذات اتجاه موضوعي لاسيما التي اعتمد أصحابها على تفسير الآيات ذات الموضوع الفقهي الواحد بعضها ببعض.

(1) «الفرق بين كل من الاتجاه والمنهج والطريقة عند الباحثين المعاصرين»، القميحي عثمان، موقع ملتقى أهل التفسير (ت ن:

2004/03/09)، الرابط: <https://vb.tafsir.net/tafsir1481/#.WoSkYlrhrMw>

وعلى هدي ما سبق من تعاريف وباستصحاب مفهوم الاتجاه في علم النفس يمكن أن نحدد مفهوم الاتجاه في التفسير كما يلي:

(هو الميزات الفكرية والمنهجية والمذهبية والنفسية التي تغلب على تفسير ما فتلونه بلون خاص يميزه عن غيره، تظهر حسب ميولات المفسر وثقافته واختياراته).

2- مفهوم مناهج التفسير:

أ- المنهج لغة: (المنهج: الطريق الواضح، والجمع نهج ونهاج وهو المنهج والجمع مناهج)⁽¹⁾ (ومنهج الطريق: وضحه، والمنهاج: الطريق الواضح)⁽²⁾.

فالمنهج إذن هو الطريق الواضح الذي يسلكه صاحبه للوصول إلى هدف محدد.

ب- المنهج اصطلاحاً: (الخطة المرسومة للوصول إلى غاية محددة)⁽³⁾. أو هو (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة)⁽⁴⁾. ويمكننا من خلال هذا التحديد التعريفي تفريق المنهج التفسيري عن الاتجاه التفسيري في المبحث الموالي كما يلي:

3- بين مناهج التفسير واتجاهات التفسير:

هنالك اضطراب وخلط في التفرقة بين مناهج التفسير واتجاهات التفسير، سببه الأول حادثة مثل هذه المصطلحات التي لم تأخذ تحديدها النهائي المتفق عليه بعد، لذا أود هنا أن أسهم في توضيح الفرق بين مناهج التفسير واتجاهات التفسير وبين ما يمكن اعتباره منهجاً ابتداءً مما يعتبر اتجاهها.

يكتسب الأمر لدى بعض الدارسين عند الحديث عن منهج واتجاه التفسير ويعبرون بأحدهما عن الآخر كأنهما بمعنى واحد، فمثلاً نجد فهد الرومي في كتابه "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" واضح من خلال عنوانه أنه يتناول

(1) جبهة اللغة، ابن دريد الأزدي أبو بكر محمد بن الحسن، باب (ج ن هـ) مادة (نحج).

(2) تحذيب اللغة، بن الأزهري محمد بن أحمد، باب (هـ ج ن) مادة (نحج).

(3) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، (657/2).

(4) مناهج البحث العلمي: بدوي عبد الرحمن، (ص05).

الاتجاهات بالدراسة، ولكننا نلاحظ عند وضعه للعناوين التفصيلية لا يفرق بين المنهج والاتجاه كأنهما عنده شيء واحد، فيذكر مثلاً كعنوان للباب الثاني: الاتجاهات العلمية في التفسير⁽¹⁾، ثم يُقدِّم عناوين الفصول المدرجة تحته كآلاتي:

الفصل الأول: المنهج الفقهي في التفسير.

الفصل الثاني: المنهج الأثري في التفسير.

الفصل الثالث: المنهج العلمي التحريفي في التفسير.

وهو يصنع ذلك مع سائر الاتجاهات التي أثبتتها في كتابه، ورغم أنه حاول التفريق بين المنهج والاتجاه والطريقة في دراسته: "بحوث في أصول التفسير"⁽²⁾ ولكنه لم يحقق مقصد التفريق كما ينبغي، واكتفى بأمثلة عامة لم يسقطها على مجال التفسير ما أبقى الفرق بينها غامضاً.

ولكي نقوم بتحديد مناهج تفسير القرآن لا بد من العودة أولاً إلى مفهوم المنهج عامة، ثم النظر فيما يوافق هذا المفهوم في حقل الدراسات التفسيرية والقرآنية، فالمنهج بشكل عام هو (الطريق المؤدي إلى الكشف عن معاني القرآن)⁽³⁾، إذن هو ما يتم الكشف به، لا ما يتم الكشف عنه مما يحتمله القرآن من مجالات بحث، وعلى هدي هذا التوضيح يمكننا تحديد ما يمكن اعتباره منهجاً مما لا يعد منهجاً.

بناءً على ما سبق فإن مناهج التفسير المعروفة منذ العهود الأولى لظهور وتأسيس علم التفسير أربعة: المنهج الأثري (الرواية والنقل)، المنهج العقلي (الاجتهاد والرأي)، المنهج اللغوي (النظم والبلاغة)، والمنهج الإشاري (العرفان والخواطر)، والمنهج الرمزي (الباطني التلغيزي) ترد هذه المناهج عند بعض الدارسين تحت مسمى "طرق التفسير"⁽⁴⁾ من باب أن المنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف.

(1) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي فهد، (415/2) ما بعدها.

(2) انظر (ص55-57).

(3) التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، (ص341).

(4) انظر فصول في أصول التفسير، الطيار مساعد بن سليمان، (ص22) وانظر مختصر في قواعد التفسير، خالد السبت، (105/1-107).

وهي مناهج معروفة متفق على العمل بها بضوابطها عدا هذا الأخير (المنهج الرمزي) فهو منهج يحرف المعنى القرآني ويصرفه عن مقصوده الظاهر، كما أنه لا يلتزم بالضوابط والقرائن ويخضع كلياً لذات المفسر وذوقه الخاص بعيداً عن السياقات اللغوية والمعاني الإجمالية القريبة، بل هو يلغيها ويجعل بدلها المعنى الرمزي الباطني البعيد الذي لا شواهد له.

وأما المناهج المعاصرة فمنهجان: المنهج الموضوعي، ومنهج القراءة الحداثية:

- الأول أصيل نابع من داخل الخبرة الإسلامية ومن المنظومة الفكرية والثقافية للعبقريّة الإسلامية، مع وجود جذوره في تراثنا الأصيل، ظهر استجابة لاحتياجات العصر الحديث الذي يطلب بلورة المفاهيم وإعطاء صور متكاملة عن ظواهر وموضوعات الدراسة.

- والثاني (القراءة الحداثية للقرآن الكريم)⁽¹⁾، دخيل اجتث اجتثاثاً من الخبرة الغربية في علوم اللسان والإنسان⁽²⁾، وُجِّه به قسراً في البيئة الإسلامية تليقاً وزوراً دون تأني وروية، ودون محاولة تكييفه وفق خصوصيات البيئة الثقافية الإسلامية المغايرة جذرياً للبيئة الثقافية الغربية، وقد أثبتت مآلاته الفاسدة أن غرضه التشويش على القرآن وإفساد معانيه الفطرية، وإفقاد الثقة به لا تعزيز التحلي به والانتماء إليه، ل والتنصل من الأحكام القرآن والسنة باسم القرآن في بعض المحاولات، عبر توليفات تتقصّد التعقيد والغموض وتشتيت القارئ، أو إرغامه على التسليم عن طريق إشعاره بالعجز.

فالمناهج الأصيلة الحاصلة لدينا خمسة: الأثري، الرأي، اللغوي، الإشاري، الموضوعي. وهي لا توظف معزولاً بعضها عن بعض، بل يمد بعضها بعضاً، ويعتمد المفسر على جملة منها في عملية متشابكة لا يمكن غالباً الفصل بينها، وإنما يمكن الحكم بغلبة أحدها على تفسيره.

واعتبرنا هذه الخمسة مناهجاً لأن الكشف عن المعنى القرآن يتم بأحدها أو بالمزج بينها أو بين بعضها، على حسب اختيارات المفسر وميولاته المنهجية، وما تزال الجهود التفسيرية تعتمد هذه المناهج على اختلاف بينهم في التركيز على بعضها أو على مجموعها، مع ملاحظة أن المفسرين في العصر الحديث طوروا توظيفها إلى أن صار بعضها نوعاً أو اتجاهها من التفسير قائماً بذاته كالاتجاه الأدبي البياني، بل ظهر في أدبيات المعاصرين إطلاق مدرسة التفسير الأدبي التي تُنسب إلى

(1) من نماذجها: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة لمحمد شحرور/ الاتجاه العقلي في التفسير، ومفهوم النص -دراسة في علوم القرآن- لنصر حامد أبو زيد/ قراءات القرآن، والقرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني لمحمد أركون... وغيرها.

(2) انظر مثلاً: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، (ص 05- 07).

أمين الخولي وتلاميذته عائشة عبد الرحمن⁽¹⁾، وهي في تطور ونمو على أيدي المهتمين بهذا الاتجاه كجهود فاضل صالح السامرائي⁽²⁾ من المعاصرين.

أما ما يعرف اليوم بالتفسير الفقهي والتفسير العقائدي والتفسير التاريخي والتفسير العلمي... فهي مجالات بحث، وليست أدوات كشف، لذا لا تعد من مناهج التفسير، وهنا يبدو جليا الفرق بين الاتجاهات والمناهج، فالمناهج أدوات كشف عن المعنى القرآني وفق الطاقة البشرية، بينما الاتجاهات مجالاتها أوسع تتحدد حسب ميولات المفسرين واختيارهم النابعة من ثقافتهم وتخصصاتهم وأولوياتهم والمناهج التي يعتمدون عليها.

ومن خلال ميل بعض المفسرين إلى التركيز على بعض مجالات البحث المحورية التي تضمنها القرآن انبثقت اتجاهات مثل: الاتجاه العلمي، الاتجاه الفقهي، الاتجاه التاريخي القصصي.

ومن ميل بعض المفسرين إلى التركيز على مقاصد محورية كالهداية والحركة والإرشاد انبثق الاتجاه الهدائي والاجتماعي. وأيضا حين يركز بعض المفسرين على مناهج تفسيرية بعينها تنبثق اتجاهات تبعا للخبرة المعرفية التي أنتجوها، فينشأ الاتجاه الأثري، والاتجاه الاجتهادي (الرأي)، والاتجاه اللغوي، والاتجاه الإشاري، والاتجاه الموضوعي.

فالعلاقة هنا تبدو أوضح بين مناهج التفسير واتجاهات التفسير إذ يمكننا الاستنتاج أن بينهما علاقة عموم وخصوص، فكل منهج يمكن أن ينشأ عنه اتجاه إثر الخبرة المعرفية المتراكمة عن الجهود التي تتم في سياق اعتماد ذلك المنهج، ولا يمكن أن نعتبر كل اتجاه منهجا.

1/3- الموضوعي في التفسير: منهج أم اتجاه؟

اعتبرنا سابقا أن المنهج الجديد الوحيد في العصر الحديث هو منهج التفسير الموضوعي، وإن كان يدرجه العديد من الدارسين بوصفه اتجاها كبقية الاتجاهات الحديثة كالاتجاه العلمي أو الفقهي أو الاتجاه الاجتماعي، وهذا دون أن يعرجوا غالبا على اعتباره منهجا في الأساس.

(1) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي فهد، (3/881-885)، و المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، العزاوي عقبة خالد، (ص121-123)، والتفسير والمفسرون في العصر الحديث، محمد صالح عبد القادر، (ص405).

(2) من مؤلفاته المتجهة في هذا الاتجاه: على طريق التفسير البياني (من جزأين)، والتعبير القرآني، ولمسات بيانية.

بل ويعتبره بعض الباحثين أسلوباً من أساليب التفسير على أن أساليب التفسير عنده: التفسير التحليلي، التفسير الإجمالي، التفسير المقارن، التفسير الموضوعي⁽¹⁾.

وهنا يعترضنا الإشكال من جديد: كيف نفرق بين ما هو اتجاه وبين ما هو منهج ابتداءً؟

لا بد أن نلاحظ أن المنهج هو ما يعد مرتكزات ثابتة أو خطوات واضحة يتبعها المفسر للكشف عن مراد الله من الآيات حسب طاقته، ومن هذا المنطلق نؤكد على تصنيف الموضوعي بدايةً كمنهج أساساً، وهذا هو الأصل فيه، وذلك لامتلاكه الشروط الموضوعية للمنهج، فهو في أساسه مجموعة خطوات واضحة متتابعة تهدف للكشف عن مراد الله تعالى من خلال مجموعة آيات يجمعها موضوع واحد، أو الكشف عن الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة، والعلاقة بين موضوعاتها المتعددة، ووظيفتهم في خدمة الموضوع الرئيسي للسورة ومقاصدها.

ولا ننفي اعتباره اتجاهًا تبعاً، وإنما نؤكد على أن الأصل فيه أنه منهج، ثم لا مانع من اعتباره اتجاهًا وذلك بسبب توجه العديد من المفسرين والدارسين لاستعماله حتى ميز أعمالهم، فاشتهر على أيديهم بالتفسير الموضوعي، فهو من حيث هو دون التباسه بالمفسر منهج، وأما الخبرة التفسيرية التي تنتج عن المفسرين وتطبع أعمالهم به لكثرة استعمالهم له فيمكن اعتبارها اتجاهًا موضوعياً في التفسير.

فإطلاق مصطلح الاتجاه بإضافة أحد المناهج إليها مثل الاتجاه الأثري، أو الاتجاه العقلي (الرأي) أو الاتجاه اللغوي، هو من باب إطلاق الاتجاه على المنهج الغالب في تفسير ما، لأن الاتجاه إطلاق أوسع بكثير من المنهج، وأن المناهج يمكن اعتبارها اتجاهات إذا ما رغبت في تجميع أو تحليل التفاسير التي غلب عليها أحد تلك المناهج.

بمعنى آخر بعض الاتجاهات مرتبطة بتطبيقات عملية نتجت عن تفاعل المفسرين مع القرآن والواقع من خلال مناهج التفسير، فالمنهج هو القواعد النظرية العلمية من حيث هو مجرد عن التباسها بتبني المفسرين لها، أما الاتجاه فقد ينبثق عن اختيارات منهجية، وتمثله تلك التطبيقات المتنوعة والمتعددة والمختلفة التي تقدم النماذج العملية التطبيقية، والتي يمكن الاستعانة بها على فهم القرآن وتمثل مقاصده وإرشاداته.

(1) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي فهد، (3/ 862).

2/3- بين المنهج الموضوعي والتفسير العلمي:

عندما نقف عند التفسير العلمي -وهو من الاتجاهات الحديثة- لا نجد أنه يتميز بخصائص تصنفه كمنهج، بل التسمية نبعت عن الاهتمام بجانب من الجوانب التي تضمنها القرآن الكريم، وهو في تحليله النهائي لا يعد أن يكون: فهم الآية أو مجموعة آيات في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، فهو ليس وسيلة للكشف بل يُكشف عنه كجانب من جوانب القرآن متضمنا فيه، مثله مثل الفقهي أو العقدي أو التاريخي أو الأخلاقي، فهي مجالات محورية كبرى يحملها القرآن في طبيعته.

ولو قارنا بين التفسير الموضوعي والتفسير العلمي كنوعين من أنواع التفسير الحديث، فإننا نجد الوصول للمعنى العلمي في آية ما هدف وغاية، بينما الموضوعي في أصله وسيلة للكشف لا غاية، وقد نستعمل المنهج الموضوعي للكشف عن المعنى العلمي أو المعنى العقدي أو المعنى الفقهي أو المعنى الهدائي، ولكن لا يمكننا بحال من الأحوال أن نستعمل التفسير العلمي مثلاً للكشف عن شيء اسمه المعنى الموضوعي.

3/3- بين مناهج التفسير ومناهج المفسرين:

هناك تفريق آخر لا بد أن نقف عنده، وهو التمييز بين مناهج التفسير ومناهج المفسرين، وعلينا أن نفرق هنا بين مناهج التفسير من حيث هي مجردة عن استعمال المفسرين لها، وبين مناهج المفسرين التي تنتج عن تفاعل المفسر مع الآيات والواقع عبر وسائط متعددة من معارف وأدوات، فالثاني أوسع نطاقاً من الأول.

المقصود بمناهج المفسرين اصطلاحاً: (هو ذلك العلم الذي يبحث فيه عن طرق المفسرين، في تناولهم بيان المراد من النص القرآني، والحكم على كل طريقة من طرق هؤلاء المفسرين، بالصواب أو الخطأ... ولقد صار علماً مستقلاً يدرس⁽¹⁾).

فمناهج المفسرين مجال علمي يهتم بدراسة الطرق والخطوات التي اعتمدها المفسرون في تفاسيرهم، ويشمل إلى جانب ذلك مواقفه من قضايا علوم القرآن كالتناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والمحكم والمتشابه والقراءات الشاذة كما يشمل مصادر تفسيره واختياراته الفقهية وموقفه من قضايا عصره ومدى استجابته لها.. وربما يشمل حتى أسلوبه في ترتيب وتحرير المسائل والمعاني، وبهذا الشكل تتعدد مناهج المفسرين وتتنوع حسب تنوع المفسرين وتعدددهم، فلكل مفسر منهجه في

(1) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، (1/252).

تفسير القرآن الكريم، ولقد تمت أبحاث عديدة في سياق الدراسات الأكاديمية تستقرئ مناهج المفسرين من تفاسيرهم وتقارن بينها.

ويمكن القول أن منهج مفسر ما : هو الطريق الذي سلكه وأدى به إلى الكشف عن معاني القرآن الكريم، ويشمل مقارنة القرآن بعضه بعض، ونظره في السنة وأقوال الصحابة والتابعين، واستخدامه القواعد الشرعية والعربية التي توصله للمطلوب، واستخدامه لعلوم الفلسفة والطب ونحوها فيما يعين على فهم القرآن، واستعانت به من سبقه من المفسرين، واستخدامه لفكره تلقفا من فتوحات الله عليه⁽¹⁾.

أما مناهج التفسير من حيث هي فهي مجردة عن تلبسها بعمل المفسر، وهي محدودة حسبما ذكرنا سابقا، تصبغ التفاسير بقدر اعتماد المفسرين على أحدها أو التوليف والتداول بينها، كما أنها تعد أدوات الكشف الرئيسية والمباشرة عن المعنى القرآني، ثم تأتي بعدها الوسائل والأدوات المساعدة كالمعرفة بالمكنى والمدني والمحكم المتشابه... وعلوم القرآن بشكل عام.

4- تعريف الأسلوب:

لغة: الأسلوب : الوجه والمذهب، وكلُّ طريقٍ مُتَمَدٍّ فَهُوَ أُسْلُوبٌ، ويُجْمَعُ عَلَى أُسَالِيبٍ . وقد سَلَكَ أُسْلُوبَهُ أي: طَرِيقَتَهُ. والأسلوب بالضم : القُلٌّ . يقال : أَخَذَ فُلَانٌ فِي أُسَالِيبٍ مِنَ الْقَوْلِ أي أَقَانِينَ مِنْهُ⁽²⁾.

اصطلاحا: يُعَرَّفُ غالبا بالطريقة، يرى أحد الباحثين أن الطريقة هي (الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه)⁽³⁾.

لا يقدم هذا التعريف إيضاحا كافيا لمفهوم الأسلوب في التفسير، فهو لم يفرق بينه وبين الطريقة، كما أن الطريقة تُطلق أيضا على المنهج التفسيري، فيقال طرق التفسير ويقصد بها مناهج التفسير، ويبدو لي أن الأسلوب يتعلق أكثر بشخصية المفسر من حيث الكيفية التي يتناول بها توظيف المناهج والأدوات أثناء كشفه عن معاني القرآن، ومن حيث كيفية ترتيبه للمسائل التي تنعكس في صورة إخراجها لعمله التفسيري.

(1) انظر التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، (ص341).

(2) انظر تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، مادة (سلب).

(3) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الرومي فهد، (ص55).

ويؤثر في الأسلوب التفسيري لمفسر ما تكوينه الشخصي ومزاجه النفسي وخبراته السابقة، وهو يعكس شخصية المفسر من حيث الشكل، أي من حيث ورؤيته الخاصة لتناول المسائل وترتيبها وتقديمها للمتلقي.

5- بين الاتجاه والأسلوب:

الأسلوب التفسيري هو المميزات الخاصة بالمفسر التي تظهر على تفسيره شكلا من جهة الشكل والقوالب والصياغة، ويختلف ذلك بحسب شخصية المفسر ومزاجه وتكوينه.

كأن يكون المفسر أدبيا فيظهر ذلك في أسلوبه، إذ يصيغ عباراته التفسيرية في أسلوب أدبي مشوق، ولا يضع للمباحث عناوين تفصيلية بل يصب المعاني القرآنية في فقرات أدبية مطولة، كتفسير "في ظلال القرآن لسيد قطب" مثلا. أو يكون مهتما بوضع العناوين التفصيلية لكل موضوع يطرقه تحت الآية الواحدة، مثل تفسير "مجالس التذكير لعبد الحميد بن باديس"، فهو يضع عنوانا إجماليا لكل آية، ثم يضع عناوين صغيرة لكل مبحث لها مختلف عن الآخر، ومثال ذلك آية ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 25] عنون لها إجمالا بـ (كيف تكون الدعوة إلى الله والدفاع عنها)، ثم سجل عناوين لمباحثها كالآتي (سبيل الرب جل جلاله، إهداء، إقتداء، أركان الدعوة، الحكمة، استدلال واستنتاج، اهتداء واقتداء، الموعظة الحسنة، الاستدلال، بما تكون الموعظة؟ تفريق بالتمثيل، حسن الموعظة، تطبيق واستدلال، اهتداء واقتداء، تحذير، الجدال بالتي هي أحسن، اهتداء واقتداء، أحكام وتنزيل، تحذير، ثمرته⁽¹⁾، وينسحب أسلوبه هذا على جملة الآيات التي فسرهما تدوينا في مجالس التذكير.

وقد يكون المفسر ينشر تفسيره عبر المجالات أو الصحف فيستجيب لأسلوب المقالة التفسيرية، وقد يكون من المشتغلين بعلم الكلام فيغلب على أسلوبه طريقة المتكلمين في التعابير والحجاج.

فالأسلوب متعلق بذاتية المفسر وطبعه وتكوينه العلمي والحياتي وطريقته في التفكير وبحته للمسائل وتبويبها، وحتى عندما يستعمل مفسران المنهج ذاته، ويتجهان الاتجاه نفسه، فإن لكل منهما طريقته في بحث المسائل وتقديرها وهو ما يعبر عن أسلوبهما الخاص.

(1) انظر آثار ابن باديس، تح عمار طالي، (1/181-199).

فمثلاً كلاً من محمد بن جرير الطبري وإسماعيل بن كثير يُصنّف تفسيرهما ضمن التفاسير التي تعتمد منهج التفسير بالمأثور⁽¹⁾، إلا أنهما مختلفان في الأسلوب:

فالطبري يقرر معنى الآية ثم يستدل لها بما ثبت عنده بسنده من أقوال الصحابة والتابعين، وإن كان في الآية أكثر من قول فإنه يعرض لكل ما قيل فيها، ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين، بينما يورد ابن كثير أقوال الصحابة أو التابعين في سياق تحرير المعنى، ويتعرض للجرح والتعديل وتصحيح وتضعيف الروايات، وهذا يظهر فرقا واضحا بين الأسلوبين.

فإذا كان الاتجاه متعلقا بالميول الثقافية وباختيار الموضوعات والمنهجية لمتبعة والمقاصد المركز عليها، فإن الأسلوب متعلق بالشكل والقالب، أي بكيفية استخدام المفسر لأفكاره المنهجية وتطبيقها في تفسير الآيات والترتيب بين هذه الأفكار، ثم ترتيبه الداخلي بين هذه الموضوعات مجتمعة⁽²⁾.

فالالاتجاه متعلق بالميول والاختيارات، والمنهج متعلق بتحصيل المضمون، والأسلوب متعلق بالشكل والقالب.

الخاتمة:

نخلص إلى أن الاتجاه في التفسير ينشأ حسب الميولات الذاتية والاستعدادات الفكرية والعلمية والاختيارات المنهجية للمفسر، وهو يعبر عن الإطار العام الذي يغلب على تفسير ما، وتتعدد الاتجاهات بتعدد ميول المفسرين اختياراتهم للمجالات التي يركزون عليها من حيث الموضوع أو المنهج أو الوسيلة أو المقصد.

أما مناهج التفسير فهي أدوات كشف عن المعنى القرآني، وهي محدودة يمكن حصرها في: الأثري والرأي واللغوي والإشاري والموضوعي، ونستثني منها الرمزي الباطني والقراءة الحداثية فهما منهجان يفسدان المعنى القرآني ويحرفانه عن حقيقته، ولا يرجعان المتشابه من القرآن إلى محكمه.

والأسلوب: هو الذي يعكس ملامح شخصية المفسر من حيث الشكل أثناء بحثه للمسائل وتصنيفه لها تحريرا وترتيباً وتخریجا.

(1) انظر التفسير والمفسرون، الذهبي محمد حسين، (147/1).

(2) انظر «الفرق بين كل من الاتجاه والمنهج والطريقة عند الباحثين المعاصرين»، القميحي عثمان، موقع ملتقى أهل التفسير (ت ن: 2004/03/09)، الرابط: <https://vb.tafsir.net/tafsir1481/#.WoSkYlrhrMw>

قائمة المصادر والمراجع:

1. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، محمد إبراهيم شريف، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م.
2. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة 1418هـ/1997م، ج2 ص415 ما بعدها.
3. آثار ابن باديس، تح عمار طالي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة الأولى 1388هـ-1968م.
4. أصول علم النفس العام في ضوء الإسلام، أحمد محمد عامر، دار الشروق، الطبعة 1، جدة 1406هـ/1986م.
5. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن الرومي: مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الرابعة 1419هـ.
6. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي مرتضى، دار الهداية.
7. التفسير والمفسرون في العصر الحديث، محمد صالح عبد القادر، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م.
8. التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، دار السلام - مصر، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م.
9. التفسير والمفسرون، الذهبي، محمد حسين، مكتبة وهبة، القاهرة.
10. تهذيب اللغة، بن الأزهري محمد بن أحمد الهروي، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت 2001م.
11. جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي أبو بكر محمد بن الحسن، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت 1987م.

12. حركة التفسير في الاتجاهين الموضوعي والموضوعي، محمد فاكّر المبيدي، مجلة مآب القرآنية (مجلة إلكترونية)، السنة الأولى، العدد الثاني، محرم 1427هـ/ شباط 2007 م، الرابط:
<http://aldhiaa.com/arabic/magazine/maab/02/1/2.pdf>
13. الفرق بين كل من الاتجاه والمنهج والطريقة عند الباحثين المعاصرين، القميحي عثمان، موقع ملتقى أهل التفسير (ت ن: 2004/03/09)، الرابط:
<https://vb.tafsir.net/tafsir1481/#.WoSkYlhrMw>
14. فصول في أصول التفسير، الطيار مساعد بن سليمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1423هـ.
15. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م .
16. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون محمد، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية 2005م.
17. لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ .
18. مختصر في قواعد التفسير، السبب خالد، دار ابن القيم - دار ابن عفان، الطبعة: الأولى 1426هـ/ 2005 م .
19. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون: إدارة إحياء التراث الإسلامي، بيروت (د ت).
20. مناهج البحث العلمي، بدوي، عبد الرحمن، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة 1977م.
21. المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، العزاوي عقبة خالد، دار العصماء، دمشق، الطبعة الأولى 1433هـ/2012م.
22. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر 1423 هـ - 2002 م.

